مقدمـــة

الحمد لله الذى علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبى الأكرم، صفوة الخلق وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..؛

فالنحو العربى علم قديم، قدم أبى عمرو، والخليل، وسيبويه، والكسائى، والمبرد، والأخفش، وابن جنى، والزمخشرى، وابن يعيش، وابن هشام، وغيرهم.. وكتب النحو أكثر من أن تحصى على اختلاف مناهجها، وطرائق صياغتها. وفى العقود القليلة الماضية منذ الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن وحتى وقتنا الحاضر، قُدمت إلى الجامعات المصرية والعربية بل الأجنبية آلاف الرسائل والبحوث التى تناولت مختلف موضوعات النحو، وكانت فى معظمها تميل إلى الجانب النظرى فى الدراسة، وقليل منها توخى الجانب التطبيقى.

وفى السنوات القليلة الماضية تطورت الدراسات النحوية بشكل لم يسبق له مثيل، مسايرة للتطور المذهل فى الدراسات اللغوية على مستوى العالم الذى حدثت فيه ثورتان لغويتان هائلتان؛ إحداهما فى بداية هذا القرن سنة ١٩١٦ على يد العالم السويسرى الكبير سوسير مع صدور كتابه العظيم "محاضرات فى علم اللغة العام" Cours de Linguistique General وأرسى نظريته فى دراسة اللغة وحددها بأن اللغة تُدرس فى ذاتها ولذاتها "ووضع تمييزا مهما بين ما أسماه بالنظام اللغوى أو القابلية اللغوية الكامنة التى يُفترض وجودها فى المتكلم النموذجى، والحدث الكلامى Parole أو الممارسة الفعلية لهذا المتكلم أو ذاك. يختلف الحدث الكلامى من شخص لآخر، ويتأثر بمعوقات الذكاء والذاكرة والعوامل المحيطة، أما النظام اللغوى فكيان مجرد نستخلصه من ملاحظتنا للحدث الكلامى. ودعا سوسير الباحثين اللغويين إلى عدم الخلط بين هذين المستويين متهماً النحو التقليدى بدراسة الحدث الكلامى فقط، وبعدم قدرته على إدراك المستوى الأهم وهو مستوى النظام اللغوى"[1].

والثورة الثانية كانت على يد العالم اللغوى الأمريكى الشهير نوام تشومسكى، الذى غيّر كل الموازين المتعارف عليها فى الدراسات اللغوية والتحليل اللغوى وجاء بما عرف باسم النظرية التوليدية التحويلية "Transformational Generative Grammer" التى ما زالت تتطور منذ أصدر تشومسكى كتابه الأول "البنى النحوية" "Syntactic Structures"

---

(١) البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ترجمة : مجيد الماشطة، ط١، بغداد، ١٩٨٦، ص١٥٧ .

سنة ١٩٥٧، وهو الكتاب الذى كانت أفكاره ثورة على الأفكار السائدة فى ذلك الوقت، وخصوصا مدرسة التحليل إلى المكونات المباشرة، التى كانت تركز على التحليل الفونولوجى والمورفولوجى للجملة، على أساس شكلى بحت، مستبعدة المعنى من مجال دراستها، وهو ما رفضه "تشومسكى" وعدّه لونا من التعامل مع سطح اللغة دون عمقها، وسعى لإقامة نظريته على أساس أن اللغة عمل عقلى يتميز به الإنسان، ورأى أن الهدف الأساسى للنظرية اللغوية هو دراسة الجانب العقلى من الإنسان والكشف عن قدراته اللغوية، ومن هنا فقد اكتسبت الدراسة النحوية فى هذه النظرية أهمية خاصة، وذلك لأن النحو عند التحويليين يربط بين البنية العميقة للجملة والأداء السطحى لها ممثّلا فى الأداء الصوتى، أما البنية العميقة فتمثل العملية العقلية أو الناحية الإدراكية التركيبية فى اللغة Conceptual Structure، ودراسة هذه البنية تحتاج إلى فهم العلاقات داخلها، لا من حيث هى وظائف وأشكال على المستوى التركيبى، وإنما باعتبارها علاقات تصويرية وإدراكية يلعب العقل الإنسانى فيها دورا واضحا، من حيث تقدير محذوفات لا تظهر على البنية السطحية للجملة، وعوامل تقع تحت تأثيرها عناصر لغوية معينة، وغير ذلك مما يدخل فى نطاق التفسير العقلى لا الواقعى أو الفعلى للأحداث اللغوية(١).

وهذه النظرية لم تثبت على الشكل الذى ظهرت عليه سنة ١٩٥٧ بل تطورت تطورا كبيرا مرحلة بعد أخرى على يد تشومسكى نفسه وعلى يد تلاميذه أيضا، وما زالت تتطور يوما بعد يوم حتى الان. ولم يعد هنالك هذا الفصل الكبير بين علم اللغة والنحو، بل أصبح النحو يمثل واحدا من أهم مستويات البحث اللغوى وهو ما يسمى بعلم التراكيب Syntax .

ولما كانت النظرية التوليدية التحويلية هى أحدث النظريات اللغوية فى مجال الدراسات اللغوية، فقد رأيت أن أفيد من معطياتها فى دراستى هذه، فقمت بدراسة النظرية من خلال ما توافر لى من مراجع وأبحاث عربية وأجنبية فى هذه النظرية، وكان من أهمها كتب تشومسكى نفسه فى لغتها الإنجليزية وترجمتها العربية، وكذلك الدراسات التى دارت حول هذه النظرية شرحا وتحليلا أو نقدا أو تطبيقا. ولما كانت معظم هذه الدراسات باللغات الأجنبية فقد وجدت معاناة كبيرة فى الحصول عليها أولا، ثم قراءتها وفهمها لصعوبة لغتها وكثرة مصطلحاتها ثانيا، وكانت المعاناة الأكبر هى تطبيق معطيات هذه النظرية وقوانينها على اللغة العربية، فمعظم الدراسات الموجودة هى دراسات نظرية بحتة حول النظرية وقوانينها، وأبرز علمائها، ومراحل تطورها، مع ضرب بعض الأمثلة على سبيل الاستدلال والتوضيح، وليس على سبيل

---

(١) انظر : العربية وعلم اللغة البنيوى، د. حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨/١٧٩ - ١٨٠ .

التطبيق الفعلى لها على نصوص من اللغة العربية، وهذا ما زاد كثيرا من معاناتى فى هذه الدراسة، إذ هى – فيما أعلم – دراسة على غير سابقة تحتذى اللهم إلا دراسة الدكتور حسام البهنساوى التى تناولت دراسة للأنماط التحويلية فى ديوان حاتم الطائى (الجمل الإنشائية).

وقد رأيت أن الجانب التطبيقى فى الدراسات النحوية هو الأكثر أهمية من الجانب النظرى، إذ به تتضح أهمية الدراسة وقيمتها، ولا تكون ضربا من الخوض فى لجاجة الكلام النظرى المجرد من المثال، أو مجرد نقل النظرية من لغتها الأجنبية إلى اللغة العربية، فبالتطبيق تتضح قيمة هذه النظرية، ومدى صلاحيتها لدراسة جميع اللغات ومنها اللغة العربية، إذ توخى تشومسكى فى نظريته صفة العالمية.

وكان للباحث سابق دراسة نظرية من خلال رسالة الماجستير عُنوانها "**بناء الجملة عند ابن هشام**" وهى دراسة نظرية بحتة تهدف إلى استخلاص نظرية فى بناء الجملة لعالم نحوى عربى كبير هو ابن هشام، إضافةً إلى كونها دراسة فى النحو العربى القديم الذى يكاد يخلو من كل ما يمت بصلة إلى الدراسات اللغوية الحديثة.

لهذا فقد رأيت أن أمزج – فى هذه الدراسة – النظر بالتطبيق، والقديم بالحديث، ولما كان شعراء المهجر هم من رواد الحداثة والتجديد فى الشعر العربى، فقد وجدت فى أشعارهم مادة جيدة تصلح لتطبيق هذه النظرية عليها.

وقد صادفتنى فى محاولة التطبيق هذه مشكلتان :

الأولى : ضخامة الإنتاج الشعرى لشعراء المهجر، فعدد الشعراء يربو على عشرين شاعرا، وعدد دواوينهم يربو على أربعين ديوانا، فكان أن حددت الموضوع بشعر المهجر الشمالى (الرابطة القلمية) مستبعدا المهجر الجنوبى (العصبة الأندلسية) مما خفف من كمّ المادة إلى حد ما، غير أن ذلك لم يحل المشكلة تماما، فكان أن اعتمدت أهم أعمالهم وأبرز شعرائهم، وهم : إيليا أبو ماضى وأعماله الكاملة، وجبران وأعماله الكاملة، وديوان ميخائيل نعيمة (همس الجفون)، ومجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ بوصفها عينة ممثلة لباقى شعراء الرابطة القلمية، وهم رشيد أيوب ونسيب عريضة وندره حداد. فجاءت المادة الشعرية متوازنة إلى حد ما، وصالحة لتكون مادة كافية للدراسة فى هذا البحث.

الثانية : قلة بل ندرة الدراسات التطبيقية التى استخدمت النظرية التوليدية التحويلية، فكان علىّ أن أخط لنفسى خطا أسير عليه فى الدراسة التطبيقية محاولا – قدر استطاعتى

الإفادة من كل ما وصلت إليه يدى من كتب ومراجع وبحوث عربية وأجنبية فى هذه النظرية أو حولها.

وعلى كل حال فقد حاولت ما وسعنى الجهد، فكان أن جاءت هذه الدراسة فى تمهيد، وبابين، وخاتمة.

فى **التمهيد** تحدثت باختصار، عن شعراء المهجر، وحركة الهجرة إلى العالم الجديد، والحركة الثقافية عندهم، وتأسيس الرابطة القلمية، وأهم أعضائها، وإصدارهم لمجموعة الرابطة سنة ١٩٢١، ثم تحدثت باختصار أيضا عن الجملة والشعر.

واختص **الباب الأول** : بتقديم الإطار النظرى للدراسة فى تمهيد وفصلين، تحدثت فى التمهيد باختصار شديد عن الدراسات والاتجاهات اللغوية فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وتناولت فى **الفصل الأول** : أهم مدارس ومناهج التحليل اللغوى قبل تشومسكى.

وجاء **الفصل الثانى** فى مبحثين؛ الأول : عن تشومسكى والنظرية التوليدية التحويلية ومراحل تطورها وقوانينها، والمبحث الثانى عن النظرية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية.

أما **الباب الثانى** : فقد دار حول الدراسة التطبيقية : وجاءت هذه الدراسة أيضا فى تمهيد وفصلين : أما **التمهيد** فقد جعلته للحديث عن الجملة الاسمية بصفة عامة.

وأما **الفصل الأول** : فقد خصصته للجملة الاسمية البسيطة وأنماطها عند شعراء المهجر، سواء أجاءت الجملة على الترتيب المعتاد للجملة التامة، أو على صور أنماط إعادة الترتيب، أو أنماط الحذف (الجملة الناقصة)، أو أنماط النفى أو الاستفهام.

وأما **الفصل الثانى** : فقد أفردته للجملة الاسمية المركبة التامة المثبتة، وأنماط إعادة الترتيب وأنماط الحذف وأنماط النفى، والاستفهام.

وأنهيت الرسالة بخاتمة تلخص نتائج البحث.

والله أسأل التوفيق والسداد.

الباحث

بنها فى ٩ يونيو ١٩٩٥